

منهم الأصوات المركبة (الفونولوجي) الإحصار وإدغام الصوامت الحلقية

د. عبد الوهاب شيباني

جامعة قسنطينة 1

مقدمة:

"الفوناتيک" Phonetics هو دراسة الصوت مجزئاً مفرداً. و"الفونولوجي" Phonology هو دراسة التغيرات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها، فهي تبين وظيفة الصوت في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا. وهذا لدراسة مواقع الحروف في الكلمات والجمل والعبارات لبيان ما يحدث من ائتلاف أو اختلاف، وما قد يحدث من تغيرات للانسجام الصوتي وحسن التركيب كالإدغام مثلاً والإظهار⁽¹⁾. ولهذا الغرض ارتأيت أن استهل هذا البحث، الذي هو من صميم الفونولوجيا، بالجانب الفوناتيكي، وقد أسهب فيه، نظرًا لحاجتي إلى الوقوف على مصادر أحرف الحلق وصفاتها وميزاتها التي جعلت منها أحرف إظهار هنا وأحرف إدغام هناك. وبذلك لن يكون مثل موضوعات "الفونولوجيا" هذه في غنى عن "الفوناتيک"، بل لا بد من التداخل فيما بينهما. وسأركز في هذا البحث على الأسباب التي أدت إلى الإظهار في الأحرف الحلقية وفي الميم الساكنة، وفي التثنية عند الواو والياء، وكذلك إدغام الصوامت الحلقية.

(1) انظر مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: الأنجلو مصرية، 1990: ص 111 و112، و دراسة السمع والكلام عونتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك: سعد مصلوح، 1980، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1420 هـ، 2000م: ص 175. ودراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 2006: ص 69. وفي اللسانيات العربية المعاصرة: خالد إسماعيل حسان مكتبة الآداب، القاهرة، 2008، ص 19، وجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات: لتحديث لعبد الغفار حامد هلال، مكتبة الآداب 2007: ص 11

أولاً: تعريف الإظهار وعدد حروفه الحلقية:

1- تعريف الإظهار:

أ- تعريفه لغة: هو البيان⁽¹⁾.

ب- تعريفه اصطلاحاً:

الإظهار هو إخراج كل حرف من مخرجه، من غير غنة في الحرف المظهر، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة والتنوين حرف من حروف الحلق الستة، وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء⁽²⁾. وجمعها بعضهم في أوائل كلمات نصف بيت مرتباً على ترتيب المخارج فقال: (أخي هاك علماً حازه غير خاسر). وما عدداً ذلك يحدث إخفاء لنون أو إدغاماً.

وسميت هذه الحروف حروف الإظهار لظهور النون الساكنة والتنوين عند تلاقي واحد منها، سواء أكانت تلك الحروف في كلمة منفصلة عنهما نحو: ﴿مِنْ أَمِنْ﴾ و﴿كُلَّ أَمِنْ﴾ أم ﴿وَيَشْتُونَ﴾ و﴿مِنْهُمْ﴾ و﴿وَانْخَرْ﴾ و﴿يَنْعَقْ﴾ و﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ و﴿إِلَيْكَ﴾ و﴿وَالْمُخْتَفِئُ﴾، وشبهه. إلا أن ورشاً ينقل حركة الهمزة إلى النون الساكنة والتنوين، ويحذف الهمزة، ولا يجتمعان معها في قراءته إلا في ﴿وَيَشْتُونَ﴾، فإنه لا ينقل حركتها إلى النون إذا كانت معها في كلمة واحدة. وأجمعوا أيضاً على إدغامها في الراء واللام والنون

(1) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر، ط 3، 1994م: (ظهر): 520/4. وانظر نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر الجريسي: مراجعة محمد محمد محمود شرف، دار ابن الهيثم القاهرة، 2009: ص 145 - 148.

(2) انظر الكنز في القراءات العشر: عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي، تحقيق هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ 1998م: ص 41. والكافي في القراءات السبع: أبو عبد الله محمد بن شريح، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ 2000م: ص 55. ودراسات في علم الأصوات، الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، صبري المتولي، زهراء الشرق، 2006، ص 150 - 155. وفيه أيضاً: إظهار النون الساكنة (أو التنوين) والإظهار الشفوي والإظهار القمري (أي إظهار اللام القمرية). التحرير السديد: ص14، وانظر: تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث: عبد الغفار محمد دلال، مكتبة الأندلس، 2007: ص 113.

ولهم والنو، إذ كانت النون منقصة عن نياء والنو، وإن إدّا انصدمت بها في كلمة فلا اختلاف في الإظهار نحو: ﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿بَيِّنَاتٌ﴾ و﴿قِنَوَانٌ﴾ و﴿صِنَوَانٌ﴾ وشبهه خيفة الالتباس في الأبنية، ولا يقع التثوين كذلك⁽¹⁾.

2 - عدد أحرف الإظهار الحلقية:

وأحرف الخلق⁽²⁾ هي أحرف الإظهار، وهي مجموعة، كما سبق، في أوائل أحرف الكلمات في قولهم: (أحي هاك علماً حازه غير نحاس)، و في أوائل كلمات هذا البيت:

حبّ خليلي أزال غمضي
عند هجوعي من السّهاد⁽³⁾

وبعضهم جمعها في أوائل كلمات:

(1) انظر الكافي في القراءات السبع لابن شريح: ص 58. والحلق: هو تجويف أنوبي يمتد من أعلى الحنجرة صعوداً إلى مؤخرة التجويف الأنفي. ويكون بمثابة حافظة لقوة الصّوت بعد تذبذب الأوتار الصّوتية. وتعبير آخر هو: تجويف عضلي، يقع بين مستغرق اللسان (الجزر) والحنجرة، ويبلغ طوله نحو 12 سم. وهو مجرى عضلي غشائي، يصل الفم بالمريء، ويقع خلف الفم والحنجرة والحجرة الأنفية. ويمتد أمام العمود الفقري من قاعدة الحف حتى الفقرة الرقبية السابعة. وهو ضيق في الأسفل، متسع من الجهة العليا، وهو مغلى بغشاء مخاطي، وتتصل به فتحات سبع هي: 1 فتحة التجويف الفموي. 2 فتحتا الأنف الداخليتان. 3 فتحتا قناتي استاكبوس. 4 فتحة المريء. 5 فتحة الحنجرة.

يقسم بعض علماء الأصوات الحلق إلى قسمين: الحلق الأنفي nos pharynx والحلق الفموي oropharynx. أما الحلق الأنفي، فهو فراغ يقع خلف الحجرة الأنفية مباشرة. وللحلق الأنفي هذا، وظائف صوتية كثيرة، منها أنه يكسب الأصوات المؤلفة طابعها الأنفي. وتختلف درجة تأنيص الأصوات المؤلفة، تبعاً لاختلاف درجة افتتاح البلعوم الأنفي. فإذا أخلق البلعوم الأنفي: فإن الهواء يمر من الحجرة الفموية وأما الحلق الفموي، فهو التجويف الواقع تحت الحلق الأنفي مباشرة. ويختلف العلماء في تحديد حجم هذا الجزء من الحلق. ويرى بعض الباحثين في علم الأصوات التشريحي أن الحلق الفموي يمتد ليشمل الفراغ الذي خلف الحجرة مباشرة ويرى آخرون أن الفراغ الذي خلف الحجرة هو الحلق الحنجري laryngopharynx وأن الحلق الفموي هو في المنطقة الواقعة في الوسط بين الحلق الأنفي والحلق الحنجري. [الأصوات اللّغوية: عضوية ونطقية وفيزيائية: سمير شريف إسبكية: ص 52 55].

(2) أحرف الحلق ليست صقاً. والأحرف الصمّة هي القوّة الشديدة وهي ما عدا أحرف الحلق. انظر: الزّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكّي بن أبي طالب القيسي، دار الصحابة للتراث، طبعة 2002 1422، القاهرة: ص 47.

(3) تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث: ص 12.

وعند حروف الخلق للكل أظهرًا لا هاج حكم عم خاليه غفلاً

فتظهر التّون والتنوين إذاً عند أحرف الخلق الستة: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، منها أربعة يظهران عندها بلا خلاف، وهي الهمزة والهاء والعين والحاء⁽²⁾.

وعدد انصوامت الخلقية ستة في كتاب سيبويه، موزعة على ثلاثة مخارج للخلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف. ومن وسط الخلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجاً من النّم الغين والحاء. وقد تم إسقاط الألف والهمزة من الحساب، وتبقى خمسة أصوات وهي: الحاء من أقصى الخلق، والعين والحاء من وسطه، والغين والحاء من أدناه⁽³⁾.

ثانياً: الأحرف الحلقية ومميزاتها:

مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجاً، وعند سيبويه ستة عشر⁽⁵⁾، لإسقاطه الجوفية. وعند الفراء أربعة عشر، لجعله مخرج الذلقية واحداً. إذ تُحْصَر مخارج الخلق واللسان والشفتان، ويعمها الفم⁽⁶⁾.

(1) نفسه: ص 113.

(2) الشاطبية "حز الأمانى ووجه التهانى في القراءات السبع": القاسم الشاطبي الرعيني، ضبط محمد تميم الرعيني، مكتبة دار الهدى، ط 4، 2005: ص 24.

(3) في اللسانيات العربية المعاصرة: ص 37.

(4) الكتاب: (سيبويه) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون: عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 3، 1403 هـ 1983 م: 433/4.

(5) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان: طبعة 1408 هـ 1988 م: 65/1. والكتاب: 405/2. اعتمد علماء اللغة المحدثون تقسيماً للمخارج الصوتية على أساس من التجارب الصوتية في المعامل والمختبرات الصوتية الحديثة، فإبراهيم أنيس يجعلها سبعة مخارج [الأصوات اللغوية، عضلة الأنجلو مصرية، ط 6، 1981: ص 17 19]. وجعلها كل من عبد الرحمن أيوب [أصوات اللغة أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني 1968: ص 195] وأحمد مختار عمر [دراسة الصوت اللغوي: ص 269 274] عشرة مخارج.

(6) النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، صححه وراجعده علي محمد

ولخلق: عنى حسب تقسيم القدماء: ثلاثة مخارج لسبعة أحرف:
فالخرج الأول: من أقصاه الهمزة، والألف، لأنَّ مبدأه من الخلق، والهاء.
والثاني: من وسطه العين والحاء المهملتين.

والثالث: من أدناه الغين والحاء.
قال الشاطبي في حزر الأمانى⁽¹⁾:

ثَلَاثُ بِأَقْصَى الْخَلْقِ وَثَانٍ وَسَطُهُ وَحَرْفَانِ مِنْهُمَا أَوَّلُ الْخَلْقِ جُمْلًا

ويستخدم الخليل مصطلح "الخلقية"، وينسب إليه خمسة أصوات هي: (ع، ح، هـ، خ، غ). فالعين والحاء والهاء والغين حلقية لأنَّ مبدأها من الخلق⁽²⁾. ويختلف مع المحدثين في أنَّ الخلق عنده يشمل منطقة واسعة تشمل الحنجرة⁽³⁾، على حين أنَّ الخلق

الضياء، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت: 1 / 198، وانظر: تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث: ص 30 وما بعدها.

(1) الشاطبية "حزر الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: ص 91.

(2) الأحرف الحلقية عند المحدثين هي: الهمزة والهاء والعين وتسمّى عند الغربيين *Linguo Pharyngeal Consonants*. ويمكن إضافة الغين والحاء وهما الحرفان الطبقيان: [إلى جانب الكاف] إلى الأحرف الحلقية.

(3) الحنجرة جهاز أساسي في التصويت، ومن أهم أعضاء النطق. وقد اهتم علماء التشريح بدراساتها منذ القدم. فقد درسها اليونانيون القدماء، وأطلقوا عليها اسم *larynx* ويعني في لغتهم "الصوت". وما زالت هذه التسمية مستعملة في عدد من اللغات الهندوأوروبية. وكان ممن درسها من اليونانيين الطبيب الحاذق والفيلسوف الشهير غالين *Galen* الذي توفي سنة 200 ميلادية.

ميّ *Galen* العضلات الداخلية والخارجية للحنجرة وقسمها قسمين: العضلات التي تفتح الحنجرة، وتلك التي تقوم بإغلاقها. ووصف غضاريف الحنجرة، وانتهى إلى أنها ثلاثة غضاريف: الغضروف الدرقي *thyroid cartilage*. والغضروف الحلقى *cricoid cartilage*. والغضروفان الهرميان *arytenoid cartilages*. ووصف كذلك تجاويف الحنجرة والأوتار الصوتية *vocal cords*، والغلاف المخاطي للحنجرة، كما وصف الأعصاب الحنجرية. وصرّح بأنَّ الحنجرة هي أداة الصوت، وأنَّ تسميتها تتفق مع وظيفتها. أمّا ابن سينا فقد أضاف في كتابه "القانون في الطب" و"رسالة في أسباب حدوث الصوت"، التشريح الحنجرة [والى علم الأصوات التشريحي]، كثيرا من النتائج والأفكار العملية. فقد وصف لسان الزمّار *épiglottes* وصفا دقيقا. ولكنّه لمّا لم يجد له اسما، فقد نعتّه بأنّه "الذي لا اسم له". انظر: الأصوات اللغوية - رؤية عضوية ونطقية وفيديائية: سبيل سريفي إستيتية. دار والي للنشر، 2003، ص 52 - 55. وانظر كذلك: علم الصوت العربي:

في الدراسات الصوتية الحديثة بشس منطقة الحلق، فهناك صوتان في اللغة العربية يتحدان في الخنجرة التي هي سابقة للحلق وهما الهاء والهمزة، فأتى إزاء فقد صفة الخليل مع الأصوات الحلقية، وأما الهمزة فقد نسبها إلى الجوف.

ولعل تصنيف الخليل للهاء مع الأصوات الحلقية، جاء من مفهومه الواسع للحلق، خاصة وأن حدود الخنجرة مع الحلق ضيقة، حيث إن الحلق يقع في نهاية الخنجرة ويمتد إلى التجويف الأنفي من الخلف، أي المنطقة التي يتفرع فيها التجويف الأنفي والعموي وهذه الحدود ليس من السهل تحديدها لولا ما توفرت للدرس الصوتي من وسائل علمية ومختبرية حديثة. وهذه الأصوات تتدرج من حيث وضوحها السمع، فالعين أوضحها ثم الحاء وتأتي بعدها الهاء.

وقد أشار الخليل بوضوح إلى هذا الترتيب حيث قال: « فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا نجمة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هتة في الهاء، وقال مرة (ههه) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد⁽¹⁾ ».

أما إدخال الخليل إزاء والغير ضمن الأصوات الحلقية فإنه يعود إلى مفهومه الواسع للحلق أيضاً والذي يضم منطقة الحنك اللين التي تنتج فيها هذه الأصوات، لذا لم يختلف الخليل مع المحدثين في تحديد مخرجيهما⁽²⁾.

1- حرفا أقصى الحلق ومميّزات كل منهما:

أ - حرفا أقصى الحلق " الهمزة والهاء ":

ذكر الشاطبي رأي علماء التجويد المأخوذ من قول سيويه والخليل بأن أقصى الحلق تخرج منه ثلاثة أحرف هي: الهمزة والألف والهاء، فجعلوا الألف حرفاً حلقياً⁽³⁾:

في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: فاسم البريسم: دار الكنوز الأدبية، بيروت: لبنان، ط 1، 2005: ص 106، 107.

(1) العين: 64/1.

(2) علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: ص 116، 117.

(3) متن الشاطبية: حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: ص 91. ونظر الكتاب: 4/433.

ثَلَاثَ بِأَقْصَى الْخَلْقِ وَاثْنَانِ وَسَطَهُ وَحَرْفَانِ مِنْهُمَا أَوَّلُ الدَّخْلِيِّ جُمْلًا

ويعني هذا أيضًا أَنَّ الألف لا تعدُّ بيانًا للهمزة كما تصوّر ذلك بعض الباحثين المحدثين في تفسير رأي سيويه⁽¹⁾.

وورد أيضًا أَنَّ الهمزة تخرج من الرّثمة⁽²⁾، ويرى ابن سينا أَنَّ الهمزة والهاء من الحنجرة⁽³⁾، وسبق بذلك الدراسات المعملية الحديثة.

ب- مميزات حرفي أقصى الحلق وهما الصّوتان الحنجريان "الهمزة والهاء":
ب1: الهمزة:

هي من الأصوات الحنجريّة Glottal-Consonants، وهي من الأصوات العربية التي كثر حديث اللّغويين عنها، فكانت مما تثير الانتباه، وتوجب الوقوف عند بنيتها التكوينية وظلالها الوصفية، وتقلباتها البنائية، وجوانبها الوظيفية. وهي صوت حنجري انفجاري شديد مهموس مرقق، يتمّ نطقه عن طريق الوترين الصّوتيين، حيث يتصلان ثمّ يفتتحان فجأة، فينطلق الهواء فجائيًا انفجاريًا.

وقد رأى الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور كمال بشر وبعض من جرى في مسارهم أَنَّ الهمزة صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، مرقق. واعترض عليهم في ذلك الدكتور عبد الرحمن أيّوب حين قال: « إِنَّ وصف الدكتور إبراهيم أنيس بأنّها - أي الهمزة - ليست بمجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق⁽⁴⁾ ». ويدعو أَنّ وصف المحدثين لصوت الهمز بأنّه لا مجهور ولا مهموس، هو رأي البروفيسور Daniel Jones الذي وصف صوت الهمزة بقوله: "It is neither breathed nor voiced"⁽⁵⁾ أي أنّه ليس بصوت نفسي ولا بصوت مجهور. وتقرّر أَنَّ لكلّ صوت مجهور نظيرًا نفسيًا.

(1) تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث: عبد الغفار حامد هلال. مكتبة الآداب 007: ص 32.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: ط الأولى: القاهرة 1957/ 168.

(3) أسباب حدوث الحروف: لابن سينا، طبعة القاهرة 1978م: ص 16.

(4) أصوات اللغة لعبد الرحمن أيّوب: ص 173، والأصوات اللغوية: لإبراهيم أنيس: ص 90. وعلم للغة العام لكمال بشر: ص 112.

(5) الأصوات النّغوية: عبد القادر عبد الجليل: دار صفاء للنشر، ط1، 1418 هـ. 1998م: ص

والموضع مع الصوت النَفْسِي هو حالة الانفتاح. وحالة التلامس للأوتار الصوتية تكون مع الصوت المجهور Voiced. وعلى هذا يعلّق الدكتور عبد الرحمن أيّوب بالقول: إنّ الصوت إما أن يوصف بمجهوراً أو مهموساً، وإلاّ يعدّ من قبيل عدم الدقّة في وصفه بين الخاليتين⁽¹⁾. وبعضهم يرى أنّ الهمزة حرف مجهور، شديد، منفتح، مستقل، لا يخالطها نفس. وهي من حروف الإبدال وحروف الزوائد. وهي لا صورة لها في الخطّ، وإنّما تعلّم بالشكل والمشافهة⁽²⁾.

وليس في أصوات الإظهار ما خصّص له بحوث ومصنّفات مثل ما حظيت به الهمزة، فقد خصّتها القدماء والمحدثون على حدّ سواء بما لا حصر له، فمن النصوص القديمة التي تناولت الهمزة ما يأتي:

- عدّ سيبويه الهمزة صوتاً حلقياً حيث قال: « فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف⁽³⁾ ». ويصفها أيضاً بقوله: « هو صوت شديد ونير في الصّدْر يخرج بإجهااد⁽⁴⁾ ».
- وذهب ابن جنيّ مذهب سيبويه؛ فقال كذلك: « ثلاثة منها في الحلق فأولّها من أسفل وأقصاه مخرج الهمزة والأف والهاء؛ هكذا يقول سيبويه⁽⁵⁾ ».
- بينما عزّا السيوطي عن ابن كيسان نقله عن بعضهم قوله: « سمعت من يذكر عن الخليل أنّه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنّها يلحقها النقص والتغيّر والحذف، ولا بالألف لأنّها لا تكون في ابتداء كلمة⁽⁶⁾ ».

93 نقلا عن Jones, An outline of English Phonetics, 138

- (1) الأصوات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل: ص 194، وانظر أصوات اللغة: لعبد الرحمن أيّوب: 173. ودراسة الصوت اللغوي: ص 127.
- (2) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ القلاوة: ص 52.
- (3) الكتاب: 167/2.
- (4) نفسه: 167/2 و 407.
- (5) سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد حسن ومحمّد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م: 46/1-69.
- (6) المزهر في علوم اللغة: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي؛ شرح وتعليق محمد جاد المولى بك محمد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمد البحايي؛ دار التراث، القاهرة، طبعة 3، دت: 90/1.

- وقال ابن منظور: «قال الخليل: الهزمة حذرت، جهزت في أقصى الحلق ينسحب هجراً، فإذا نُفِثَ عن الهزمة، كان نفساً يحوّل إلى مخرج الهواء، فلذلك استخفت العرب إدخال الهواء على الألف المقطوعة، نحو أراق وأيهات وهيهات وأشباه ذلك كثير هراق⁽¹⁾».

في هذه النصوص إشارة إلى إطلاق اسم هزمة على الألف المدية. وقد قصر القدماء لفظ الهمز على تلك الهزمة الأصلية التي يطلق عليها اسم الألف، والتي تقع أصلاً من أصول الكلمات كـ "أكل وسأل وقرأ". وهذا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس حيث قال: «ولعلهم أرادوا بالنبر تلك العملية النطقية التي مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توتراً شديداً، وهذه هي الظاهرة التي يمكن أن يطلق عليها التهميز glottalization أي إيقار الهمز في كثير من الكلمات⁽²⁾».

ب 2- الهواء⁽³⁾:

والهواء أيضاً من الأصوات الحنجريّة Glottal-Consonants، وهي صوت حنجري احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، يتم نطقه بأن يحتكّ الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع الطبق ليسدّ الجرى الأنفي، ويتخذ الفم عند انطق بالهواء نفس الموضع، الذي يتخذه عند النطق بالحركات⁽⁴⁾. ويلاحظ هنا خروج الهواء من الفم من دون أن يعترضه شيء، فنطقها مفتوحة مما يشبه نطق الحركات.

وبتعبير آخر: يتكون هذا الصوت بأن تندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء تفوق تلك الأصوات الأخرى، فيتخذ مجراه إلى منطقة الحنجرة والأوتار الصوتية دون حدوث اهتزازات، ويُسمع حينها نوعٌ من الاحتكاك.

(1) لسان العرب: مادة (هت) 103/2، وفيه أيضاً: هت الهزمة يهتها هتا: إذا تكلم بها.

(2) الأصوات اللغوية: ص 99.

(3) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 55. إن النزام الهمز في العربية المختلفة.

طلب وجود رمز لهذا الصوت استكمالاً لعدة الخط، وتمييزاً لها عن بقية الصوامت: فعمد الخليل إلى ققطاع رأس العين ووضع على الألف. وإلى هذا ذهب ابن جني في قوله: "أعلم أن الألف التي في أول روف المعجم: هي صورة الهزمة". سر صناعة الإعراب: 41/1.

(4) انظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: الثواب، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1997: ص

58، 59. وفي المساهمات العربية المحاضرة: بين 30، 31.

يرى أن "نفس يتخذ في صداعه الهاء جزءاً مماثلاً للذي يتخذ مع الحركات. والعارف هو ذبذبة الأوتار الصوتية التي تميز الحركات عن الهاء. ويتصور بعض المحدثين أن صوت الهاء صوت مجهور، حيث يمر الهواء عبر الأوتار الصوتية في منتصف المرحلة بين الجهر والهمس، وفي هذا بعض الاهتزاز⁽¹⁾.

وقد أئع الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن هذا الصوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة، وفي هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان، كما يُسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الخفيف⁽²⁾.

2 - حرفا وسط الحلق ومميزات كل منهما:

أ - حرفا وسط الحلق " العين والحاء ":

يرى سيويه وغيره من اللغويين أن العين والحاء [Pharyngeal-Consonants] تخرجان من وسط الحلق⁽³⁾. وقد اختلف في رتبة كل منهما، ففريق يرى أن العين قبل الحاء، وفريق آخر يرى أن الحاء قبل العين، وهو ظاهر كلام المهدي وغيره⁽⁴⁾. وظاهر كلام سيويه ومكي بن أبي طالب⁽⁵⁾: أبي الحسن شريح⁽⁶⁾ - في نظر أبي حيان - أن الحاء بعد العين، وهو خلاف ظاهر كلام المهدي حيث العين بعد الحاء⁽⁷⁾. والحاء في نظر ابن الحاجب في وسط الحلق وهي أرفع من العين⁽⁸⁾.

(1) الأصوات اللغوية: ص 90. وانظر مناهج البحث في اللغة: ص 103.

(2) الأصوات اللغوية: ص 90.

(3) انظر الصفحة 3 من هذا المقال.

(4) النشر في القراءات العشر: 1/199، والمنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية: الملا علي بن سلطان الهروي القاري، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003: ص 24.

(5) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 62 - 64. وانظر: التبصرة في القراءات السبع مكي بن أبي طالب: الدار السلفية، بومباني، الهند: ط 2، 1982: ص 352 و 707. وانظر الكتاب سيويه: 4/433.

(6) في بغية الوعاة: 3/2. هو أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد الرعيني الأشيلي (ت 539 هـ)، أبوه [أبو] عبد الله إمام مقرر في زمنه، وفي غاية النهاية: 1/324، 325 توفي سنة 537 هـ.

(7) ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان محمد، مكتبة

ب- مميزات حرفي "وسط الحلق" العين والحاء":

ب1: العين:

ينطق صوت العين في منطقة الحلق، وهي المنطقة التي تقع بين نهاية الحنجرة وبداية اللهاة⁽²⁾. أما التضييق الذي يحدث في أثناء إنتاج العين فهو تضيق حجرة، وليس تضيق موضع نطق، لذا يسمع احتكاك بسيط، ويتذبذب الوتران الصوتيان في أثناء نطقه. وأما موضع نطق العين عند سيبويه وابن جني فهو من وسط الحلق، إلا أن منطقة الحلق عند الخليل وسيبويه وابن جني منطقة واسعة، وتختلف عن المفهوم الحديث للحلق⁽³⁾.

والعين صوت حلقي احتكاكي رخو مجهور مرقق⁽⁴⁾، وهو النظير لصوت الحاء. وعند النطق بهذا الصوت تندفع كمية الهواء من الرئتين مروراً بالحنجرة حيث تتحرك معها الأوتار الصوتية، وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى عند لسان المزمار، حيث تتووه إلى الخلف حتى ليكاد يلامس الحائط الخلفي للحلق، وفي الأثناء يرتفع الطبق ساداً المجرى الأنفي، فيندفع مؤلفاً بنية هذا الصوت.

وبعبارة أخرى: يتم نطق هذا الصوت عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بشكل يسمح للهواء بالمرور، مع حدوث احتكاك، ومن ثم يحدث تضيق لمسّر الهواء إلى الخارج مع اهتزاز الوترين الصوتيين⁽⁵⁾.

لخانجي، ط 1، 1998: ص 7.

(1) شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الأسترايادي، تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفراف، حمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1402 هـ 1982م: 251/.

(2) دراسة السمع والكلام: سعد مصلوح: عالم الكتب، القاهرة، 2000: ص 170.

(3) علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص 174، 175 علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، ص 174، 175.

(4) علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب، 1970: ص 303 و308 و353.

(5) في اللسانيات العربية المعاصرة: ص 28 إلى 41. وانظر كذلك دراسة الصوت اللغوي: عبد القادر عبد الجليل: ص 319.

ومسوت، التي، عند قدماء العرب، من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة لغلة ما يسمع لها من احتكاك أثناء عملية الصنع، هذا الضعف يقرّبها من الأصوات: الزاء واللام والتون والميم. هذه الأصوات الأربعة جمعوها في قولهم: "لم نرع"، أو "لن عمر"⁽¹⁾.

إنّ الدقة في علّة التسمية تتطلب أن يصرّح بأنّ صفة التوسط هذه لم تكن بسبب (الانفجارية - الاحتكاكية) أو (الشدة - الرخاوة)، إنّما بسبب قوة وضوحها السمعي. وإنّما متوسطة بسبب شبهها بالحركات (الأصوات الصائتة) لما تتميز به من علوّ والشدة في الوضوح. وعلى هذا الضوء أطلق عليها (أشباه الحركات)، حتّى إنّ البعض من المهتمين بالدّرس الصّوتي أضافوا إليها مجموعة (الألف والواو والياء) وضموها في الترتيب "لم يروّعنا". وضمتهم الألف لها تقدير غير صائب، لأنّها صوت مدّ طويل (صائت طويل). وهي حركة ولا يجوز أن تدرج مع الأصوات.

وتثقل العين مشكلة واضحة المعالم في الكشف عن مكوّناتها الصّوتية والخصائصية التي لم تزل يحيطها الغموض والإبهام. ولذا فهي مشكلة لغير الناطقين باللغة العربية. ومن الصّعب جداً، حتّى ولو توخّيت الدقة والإحكام في الصّنع، أن ينطق الأجنبي هذا الصّوت، كما ينطقه أهل اللغة الأمّ. ولذا فإنّهم يميلون إلى نطقه همزة⁽²⁾.

والحقّ أنّ تصنيف سيبويه وابن جني للعين في منطقة وسطى بين الشديدة والرخاوة فيه ما يبرّره ويقرّبهما إلى المفهوم الصّوتي الحديث. فإذا اعتُمد على تيار الهواء كأساس للتصنيف عندهم فهي ليست شديدة مطلقاً وليست احتكاكية تماماً، بل ضعيفة الاحتكاك، وحين بحثوا عن مصطلح يبعدها عن الشديدة ولا يصنفها مع الاحتكاكية لم يجدوا إلا هذا المصطلح (ما بين الشديدة والرخاوة). أمّا إذا اعتُمد على الطبيعة الفيزيائية فإنّ

(1) راجع هذه المصطلحات في "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ البلاوة": ص 36 - 38. وانظر كذلك متن الشاطبية "حز الأمانى ووجه النهائي في القراءات السبع": ص 92، وفيها: وما بين رخو والشديدة (عَمُر نل).

(2) الأصوات النغمية: ع القادر عبد الجليل: ص 150.

عامل قلة الاحتكاك، وحالة اجتر معها يزيد من وضوحها التسمعي، كما لاحظ ذلك الدكتور قاسم البريسم في تحليله لنصّ الخليل السابق⁽¹⁾.

ب2: الحاء:

الحاء صوت حلقي احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. وهو المناظر لصوت العين المجهور. تتألف بينه حين يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة دون أن تتحرك الأوتار الصوتية وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى ويكون معه تقوى لسان المزمار صوب الحائط الخلفي للحلق، ويرتفع الطبق، ويُسَدّ المجرى الأنفي، فينتج هذا الصوت⁽²⁾.

وبعبارة أخرى: الحاء صوت رخو مهموس مرقق، يتم إنتاجه في هذا المخرج الحقيقي عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك استمراري. وعدم اهتزاز الوترين الصوتيين، وذلك بخلاف حرف العين الذي به اهتزاز الوترين الصوتيين⁽³⁾. وقد فطن ابن جني إلى بعض الظلال الصوتية في بنية الحاء إذ قال: « ولولا بُحَّة في الحاء لكانت عيناً... ولأجل البُحَّة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه. وحكي أن رجلاً من العرب بايع أن يشرب عذبة لبن ولا يتنحج، فشرب بعضه، فلما كظَّه الأمر قال: كبش أملح، فقبل له: ما هذا؟ تنحنحت. فقال: ترُّ تنحنج فلا أفنح، وكثر الحاء مستروحاً إليها لما فيها من البُحَّة التي يجري معها النَّفْس، وليست كالعين التي تحضّر النَّفْس، وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالخلقية والخمس للهاء الخفية، وليست فيها نضاعة العين ولا جَهْرها⁽⁴⁾ ». ويتحفظ بإظهار الحاء إذا وقع بعدها بجائزها أو مقاربا لاسيما إذا سكنت نحو: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزحرف: 89] و﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 26] فيحترز من قلبها عينا - في الأول - وحاء

(1) علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: قاسم البريسم: ص 175.

(2) الأصوات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل: ص 182.

(3) دراسة الصوت اللغوي: ص 319. دراسة السمع والكلام: سعد مصلوح، عالم الكتب: القاهرة، 2000: ص 170.

(4) سر صناعة الإعراب: 1 / 254. والشارق: الذي يقص بالماء، مادة (شرق) لسان العرب:

177/10. وكظَّه: ملاء، مادة (كظط): لسان العرب: 7/457، وانظر الأصوات اللغوية: عبد القادر

عبد الجليل: ص 182.

في الثاني ويحفظ بترقيتها إذا تلاها حرف استعلاء نحو قوله: ﴿أَحْطِمْ﴾ [النمل: 22].
و﴿خُصِّصْ﴾ [يوسف: 51].

و إذا أتى بعد الحاء ألف وجب على القارئ أن يلفظ بها مرفقة، وينبغي أن يحفظ ببيان لفظها عند مجيء العين بعدها، لأنهما من مخرج واحد، فإذا وقعت الحاء قبل العين خيف أن يقرب اللفظ من الإخفاء أو من الإدغام، نحو قوله: ﴿فَمَنْ رُخِّجَ عَنْ﴾ [آل عمران: 185] و﴿الْمَسِيحَ عِيسَى﴾ [آل عمران: 45]. فإذا كانت الحاء ساكنة كان البيان أكداً، لأنها بسكوفاً قد تحيأت للإدغام، إذ كل حرف أدغم لا بد من إسكانه قبل أن يدغم، فإذا سكنت الحاء قبل العين قربت من الإدغام، فيجب إظهارها، وذلك نحو قوله: ﴿فَاصْفُخْ عَنْهُمْ﴾ [الرحرف: 89] البيان في هذه لازم. ذكر إبراهيم أنيس أن الأمثلة القرآنية قد دخلت من إدغام أصوات الحلق في مجانسها أو مقارنها، إلا مثلاً واحداً أباح الإدغام فيه كثير من القراء، وهو إدغام الحاء في العين في قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ رُخِّجَ عَنْ﴾ [آل عمران: 185]. والقوانين الصوتية تبرز هذا الإدغام، لأن لا فرق بين الحاء والعين إلا في أن الأولى مهموسة والثانية مجهورة. وإن لقي الحاء مثلها كان البيان لازماً، إن لم يقرأ بالإدغام، نحو قوله: ﴿لَا أَتْرُجُ حَتَّى﴾ [الكهف: 60]. وإن لاصقها هاء كان البيان لازماً، لئلا تدغم الهاء فيها، لقرب المخرجين، ولأن الحاء أقوى من الهاء، فهي تجذب الهاء إلى نفسها، وهذا كثير ما يقع فيه الناس، نحو: ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ فالتحفظ بإظهارها واجب⁽¹⁾.

3- حرفا أدنى الحلق ومميرات كل منهما:

أ- حرفا أدنى الحلق "الغين والحاء":

الغين والحاء [Velar-Consonants] في نظر الأصواتيين المحدثين صوتان طبقان "حنكيان رخوان" إلى جانب الكاف⁽²⁾. وقد رأى أبو حيان⁽³⁾ أن سيويه⁽⁴⁾ قدم

(1) التمهيد في علم التحويد: ص 50، والأصوات اللغوية: ص 188.

(2) علم الأصوات: حسان البهناوي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ط 1، 1425 هـ - 2004 م.

ص 43. وفي اللسانيات العربية المعاصرة: ص 28، وعلم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: ص 108.

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ص 7، 8.

(4) الكتاب: 433، 4. وسر صناعة الإعراب: 1/47.

الغين عنى الخاء، وعزا ذلك إلى أبي الحسن الأنخفش، ونصّ مكّي على تقدّم الخاء على الغين⁽¹⁾. وذهب المذهب نفسه ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر"، ولم يرد على ما نقله أبو حيّان الأندلسيّ شيئاً⁽²⁾. يُرى المحدثون أنّ مخرج كلّ من الحرفين واحد، فالعين والحاء من وسط الحلق، والغين والحاء من أدناه، ولا فرق بينهما إلّا في الجهر والهمس⁽³⁾.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ويبدو أنّ هؤلاء المتأخّرين حين نطقوا بكلّ من الصّوتين "العين والحاء" أو "الغين والحاء"، لاختيارهما أحسّوا فرقاً بينهما، ولكنّهم لم يفظنوا إلى أنّ هذا الفرق مقصور على أنّ أحد الصّوتين مجهور والآخر مهموس، أي أنّ النّوتتين الصّوتيتين في الحنجرة يهتزّان مع أحدهما وهو المهجور، ويسكتان أو يصمتان مع الآخر وهو المهموس، فلا فرق بينهما في المخرج، وإنّما الفرق في الجهر والهمس⁽⁴⁾». والغين والحاء يخرجان من مؤخّر اللسان مع ما يقابله من أقصى الحنك الأعلى، فهما صوتان طبقان⁽⁵⁾، وأنّ الغين والحاء يخرجان من منطقة تلي اللهاة⁽⁶⁾ ولا تسبقها. يخلص المحدثون من جعل الهمزة والهاء من الحنجرة — كما ورد عند ابن سينا — والغين والحاء من منطقة قريبة من أقصى الحنك إلّا أنّ منطقة الحلق لا يخرج منها إلّا العين والحاء لا غير⁽⁷⁾. وهي وجهة نظر يقبلها علم الأصوات الحديث، لأنّ المناطق النطقية متقاربة ومتداخلة، والفصل بينها جدّ عسير، فضلاً عن أنّ القدماء لم يكن لديهم الأجهزة العملية التي أحدثت تقدماً كبيراً في دقة الوصف والتحليل، وربّما يعود هذا الخلاف إلى تطوّر الأصوات واختلاف ما أُجريت عليه التجارب من الأصوات حديثاً عمّا كان يجري على ألسنة العرب الفصحاء⁽⁸⁾.

- (1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط 5، 1418هـ، 1997م: 139/1.
- (2) النشر في القراءات العشر: 199/1.
- (3) الأصوات اللغوية ص 114، وانظر دراسة الصّوت اللغوي: ص 262.
- (4) الأصوات اللغوية ص 114.
- (5) الطّبق: سقف الحنك الرخو، انظر مناهج البحث في اللغة: ص 129-130.
- (6) هي اللحمة في أعلى مؤخر اللسان.
- (7) مناهج البحث في اللغة: ص 130، 131.
- (8) تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث عبد الغفار حامد خليل. مكتبة الآداب 2007: ص 37.

ب- مميّزات حرفي أدنى الحلق " الغين والخاء ":

ب1: الغين⁽¹⁾:

تخرج الغين من مخرج الخاء⁽²⁾، وهو آخر المخرج الثالث من الحلق ممّا يلي الفم، وهي صوت رخو مجهور مرقق منفتح مستعل، يتم إنتاجه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الحنك اللين أو الطبق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك مسموع، فيحتك الهواء مع غلق تجويف الأنف بارتفاع الطبق ليسدّ المجرى الأنفي، وقد ذكر سيبويه أنّ صوت الغين حلقّي. ويعلّق الدكتور ثمام حسان على ذلك فيقول: «يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين، ينبي كل منهما على طريقة فهمهم للاصطلاح (حلق)، فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في أذهانهم مطابقاً لما نفهمه الآن، فهم ولا شكّ مخطئون في القول بأنّ صوت الغين يخرج من الحلق. أمّا إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له، حتى يشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق، فلا داعي للقول بمخطئهم⁽³⁾».

ب2: الخاء:

الخاء⁽⁴⁾ صوت من أوّل المخرج الثالث من الحلق، وهو ممّا يلي الفم، وهو حرف طبق [رخو] احتكاكي مهموس مستعل⁽⁵⁾ مرقق منفتح، يتم إنتاجه بارتفاع مؤخرة اللسان، حتّى يتصل بالحنك اللين أو الطبق اتصالاً يضيق المجرى، بحيث يسمح بمرور الهواء بين العضوين الناطقين، مع حدوث احتكاك مسموع، وفي الوقت نفسه يتمّ غلق تجويف الأنف مع عدم اهتزاز الوترين الصوتيين.

(1) في كتاب " منهج البحث في اللغة " : ص 101 " يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين ينبي كل منهما على طريقة فهمهم لاصطلاح " حلق " ، فإذا كان هذا الاصطلاح مطابقاً لما نفهمه الآن، فهم مخطئون في القول بأنّ صوت الغين يخرج من الحلق. أمّا إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له، حتى يشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق، فلا داعي للقول بمخطئهم.

(2) انظر: الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 67.

(3) منهج البحث في اللغة: ص 129 وانظر كذلك: في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 28.

(4) انظر: الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 66.

(5) عنه الأصوات: ص 78.

1 - وظيفة صوت الهمزة في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا:

إذا ابتدأ بها القارئ من كلمة فليلفظ بها سلسلة في النطق، سهلة في الذوق، وليتخفظ من تغليظ النطق بها مثل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ وَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: 6]، ولا سيما إذا جاء بعدها حرف مستعل مثل: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2]. أو تلاها بحائس أو مقارب لها فيهتم بأسر ترقيقها لا تغليظها مثل: ﴿أَعُوذُ﴾ [الفلق: 1]، و[الناس: 1]، و﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى النَّبِيِّينَ﴾ [الصافات: 153]⁽¹⁾. يقول ابن الجزري في معرض حديثه عن الهمزة وتحقيقها وتسهيلها: « والناس يتفاضلون في النطق بها على مقدار غلظ طباعهم ورقتها، فمنهم من يلفظ بها لفظًا تستبشعه الأسماع، وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به ⁽²⁾، وقال أبو بكر بن عياش: إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشبهني أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها ⁽³⁾». والذي ينبغي أن القارئ إذا هز أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق، سهلة في الذوق، من غير لُكن ولا انتهاز لها ولا خروج بها عن حدها، ساكنة كانت أم متحركة، يألف ذلك طبع كل أحد، ويستحسنه أهل العم بالقراءة، وذلك المختار. وينبغي أيضا للقارئ أن يتخفظ من إخفاء الهمزة إذا انضمت أو انكسرت، وكان بعد كل منهما أو قبله ضمة أو كسرة، نحو قوله: (إلى بارئكم) و(سئل). وإذا وقف على الهمزة المتطرفة بالسكون يجب أن يظهرها في وقفه، لبعد مخرجها وضعفها بالسكون وذهاب حركتها: لأن كل حرف سكن خف إلا الهمزة، فإنها إذا سكنت ثقلت، لا سيما إذا كان قبلها ساكن، سواء أكان الساكن حرف علة أم صحّة، نحو قوله: (رفاء) و(الحبة)⁽⁴⁾.

(1) إن التزام الهمز في العربية المختلفة، تطلب وجود رمز لهذا الصوت استكمالاً لعدة الخط، وتميزاً لها عن بقية الصوائت. فعمد الخليل إلى اقتطاع رأس العين ووضعها على الألف. وإلى هذا ذهب ابن جني في قوله: " اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم، هي صورة الهمزة ". سر صناعة الإعراب: 41/1.

(2) التمهيد في علم التجويد: محمد بن الجزري، اعتنى به فارس بن فحني بن إبراهيم، دار الهيثم، القاهرة، ط 1، 2006: ص 44.

(3) نفسه: ص 44.

4: نفسه: ص 45.

٢٠- القرابة بين الهمزة والهاء ووظيفة صوت الهاء في الكلمة باعتباره فونيميا عظيما:

الهاء تخرج من مخرج الهمزة، من وسط المخرج الأول من مخارج الحلق، بعد مخرج الهمزة، وهي مهموسة رخوة منفتحة مستقلة خفية، فنولا الخمس والخاوة اللذان فيها من الشدة والحفاء لكانت همزة، ونولا الشدة والجر اللذان في الهمزة لكانت هاء، إذ المخرج واحد، ومن أجل ذلك أبدلت العرب من الهاء همزة ومن الهمزة هاء، فقالوا: ماء وأصله ماء، وأصل ماء موه، ثم أعل. وأرقت الماء وهرقته، وكذا في مواضع. والحروف تكون من مخرج واحد، وتختلف صفاتها، فيختلف ما يقع في السمع من كل حرف⁽¹⁾. والهاء يعنى بمخرجها وصفاتها إذا ما جاورها حرف يقارنها صفة أو مخرجا نحو قوله عز وجل: ﴿وَسَبَّحَهُ لِلَّهِ عُلُوًّا﴾ [الإنسان: 26]. وإذا وقعت بين الفين نحو: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا صَحَّاحُهَا﴾ [الشمس: 6] لحفائها وخفاء الألفين. وكذلك إذا سكنت الهاء نحو:

﴿عَبْدًا﴾ [مریم: 78]، أو كانت مشددة نحو: ﴿أَيْنَمَا يُرْجَعُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: 76]، فلا يفلق إدغامها، فيما عدا الحالات التي تدغم فيها. ولما كانت الهاء حرفا خفيا وجب أن يتحفظ ببيائها، لا سيما إذا تكررت، سواء أكانت في كلمة أم في كلمتين، لتكرر الخفاء، وليأتي الإدغام في ذلك لاجتماع المثليين، وذلك نحو قوله عز وجل: ﴿وَيُحَوِّهُمُ﴾ و﴿وَيُلْهِمُهُمْ﴾ و﴿فِيهِ هُدًى﴾ و﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ ونحو ذلك⁽²⁾.

وإذا كانت الهاء مشددة مدغمة في مثلها، فلا بد من بياها، نحو: ﴿أَيْنَمَا يُحَوِّهُمُ﴾ لا سيما إذا كان قبلها حرف مجهور كهذا، لأن أصله (بوجهه) بماءين، وبها رسم في الألفيات، فلما سكنت الهاء الأولى للشرط أدغمت في الثانية، وكذا كل هاء مشددة، نحو: ﴿فَمَهْلٍ﴾ [الطارق: 17]. وأما قوله تعالى: ﴿مَا لِيَهُ هَلْكَ﴾، فاختلف

(1) التمهيد في علم التجويد: ص 65.

(2) لاحظت علامات الوقف الجائز في كل آية تضمنت (فاعبدوه) ووليها مباشرة حرف آخر حلقى، ومن ذلك الآيات الآتية: ﴿ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يونس: 3، و﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ مريم: 36، و﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

الزخرف: 64. وقد يلي (اعبدوه) حرف غير حلقى كما في قوله: ﴿ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الأنعام: 102، ويكون الوقف جائزا. وفي ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الآية 51، الزخرف: 64، وفي آيات الوقف:

أهل الأداء في إظهارها وإدغامها، وانحسار ألا تدغم هاء السكت في غيرها لعروضها، وأن ينوى بها الوقف. ومنهم من يأخذ بإدغامها، للتمائل وسكون الأولى منهما⁽¹⁾. وإذا سكنت الهاء وأتى بعدها حرف آخر فلا بد من بيائها لحفائها، نحو: ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ و﴿عَهْدًا﴾ و﴿اِهْتَدَى﴾ و﴿كَالْعَيْنِ﴾ وشبه ذلك. وإذا وقعت بين ألفين وجب بيائها، لاجتماع ثلاثة أحرف خفية، كقوله عز وجل: ﴿بَنَاهَا﴾ و﴿صَخَاهَا﴾ ونحوه. ومن الناس من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها ممزوجة بين العين والكاف، وهذا لا يجوز بدلا عن بيائها بيانا تاما والتحفظ من ذلك وإخراجها من أقصى الخلق⁽²⁾.

3- وظيفة صوت العين في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا:

تقدم الكلام على أنَّ العين المهملة تخرج من المخرج الثاني من الخلق من قبل مخرج الحاء، وهي مجهورة بين الشدة والرخاوة ومنفتحة ومنسلفة، فإذا لفظت بها فبين جهرها، والآن عادت حاء، إذ لولا الجهر وبعض الشدة لكانت حاء، كذلك لولا الهمس والرخاوة اللذان في الحاء لكانت عينا. فإذا وقع بعدها حرف مهموس، كقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: 190]، و﴿الْمُعْتَدِينَ﴾، فبين جهرها وشدها. وكذا إذا وقع بعدها ألف نحو قوله تعالى: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] فلطفت العين ورقق الألف. وبعض الناس يفخمون، وهو خطأ. فإذا تكررت فلا بد من بيائها، لقوتها وصعوبتها على اللسان كقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْتَدِينَ﴾ [يونس: 74]، وكقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبا: 23] وشبهه. وإذا وقع بعد العين الساكنة غير وجب بيائها، لقرب المخرج وللمبادرة اللفظ إلى الإدغام، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ [النساء: 46]⁽³⁾.

(1) الإقناع في القراءات العشر: أبو جعفر بن أحمد بن علي بن الباذش، دار الصحابة، طنطا، د ت:

ص 59. وانظر نهاية القول المفيد في علم التجويد: ص 139.

(2) التمهيد في علم التجويد: ص 66

(3) التمهيد في علم التجويد: ص 56.

4- القرابة بين الحاء والعين ووظيفة صوت الحاء في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا:
 إن في قول الخليل: « نولا نحة في الحاء لكانت مشبهة بالعين⁽¹⁾»، إشارة إلى أن ذلك يحدث في اللفظ لأن المخرج والصفات متقاربة، ولهذا العلة لم يتألف في كلام العرب عين وحاء في كلمة، ولا تجد إحداهما مجاورة لأخرى في كلمة إلا بحاجز بينهما، وكذلك الهاء مع الحاء، ونذكر قال بعض العرب في معهم: محم، فأبدل من العين حاء، لقرب الحاء في الصفة، ولأن مخرجيهما واحد، ولبعد الهاء في الصفة من العين مع حاء الهاء، فلمّا أبدل من العين حاء أدغمت الهاء التي بعدها فيها، على إدغام الثاني في الأول⁽²⁾. والعين من الأصوات الحلقية الاحتكاكية التي تنتج عندما يضيق مجرى الهواء في منطقة الحلق، بسبب تراجع اللسان إلى الجدار الخلفي للبلعوم بقوة، ويرتفع الحنك اللين فيسدّ المجرى الأنفي وتذبذب الأوتار الصوتية⁽³⁾. وقد لاحظ Jones أن تذبذباً داخلياً Ventricular قوياً للأوتار الصوتية في أثناء إنتاج صوت العين، وأن تيار الهواء يثار بقوة، لذا يكون الصوت عميقاً⁽⁴⁾. كما يرى Heffener أن صوتي (الحاء والعين) اللذين يحتاجان إلى تقلص شديد، غالباً ينطقان مفتوحين⁽⁵⁾. إن الاحتكاك الذي يصاحب صوت العين يكون أضعف من الاحتكاك الذي يصاحب صوت الحاء، لذا وصف Jakobson صوت العين بأنه صوت ضعيف مقابل صوت الحاء الذي يكون قوياً. وعمل ذلك بأنّ كفة كبيرة من الهواء المستعمل في نطق العين يبدّد في إحداث ظاهرة الجهر⁽⁶⁾.

(1) العين: 64/1.

(2) التمهيد في علم التجويد: ص 43-67. وانظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، 2003: ص 116.

(3) أصوات اللغة: عبد الرحمن: ص 216. وانظر الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: ص 89 والمدخل إلى علم اللغة: رمضان عبد التواب: ص 55.

(4) علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: ص 123 نقلاً عن General Phonetics, Heffener, P 152.

(5) نفسه: ص 123.

(6) نفسه: ص 123 نقلاً عن Jakobson, P 167. The Emphatics Phenemes in Arabic.

وقد ذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى أن الاحتكاك يظهر يكون في العادة أضعف مع الاحتكاك المهموس، وذلك أن ذبذبة الأوتار الصوتية تكسبه إسماعًا عاليًا لا تحتاج معه لبذل الطاقة التي نبذلها لرفع درجة إسماع الاحتكاكية المهموسة⁽¹⁾.

وقد اتفق الدكتوران أحمد مختار وعبد الرحمن أيوب في الحكم، واختلفا في التعليل، حيث يرى الأول أن « ضعف الاحتكاك مع العين المجهورة ناتج عن محدودية الهواء الخارج من الرئتين نظرًا لمروره في ممر ضيق في منطقة الوترين من ناحية، ولاتجاه جزء من الهواء المستعمل إلى إحداث ظاهرة الجهر من ناحية ثانية⁽²⁾ ».

ويتفق معهما في الحكم أيضًا الدكتور قاسم البريسم، ويخالفهما في التعليل، إذ يميل إلى رأي Jakobson في أن ضعف الاحتكاك مع العين المجهورة يعود إلى أن كمية من الهواء المستعمل يبدد في إحداث ظاهرة الجهر، لأن موضع نطق العين والحاء واحد، ولكن الاختلاف بينهما في تبدد الهواء مع الجهر وبقائه مع الهمس، مما يؤثر على ضعف الاحتكاك مع العين وقوته مع الحاء، وليس إلى ذبذبة الوترين الصوتيين وما تكسبه من درجة إسماع عالية كما ذهب إلى ذلك الدكتور عبد الرحمن أيوب. وليس كذلك كما ذهب الدكتور أحمد مختار إلى محدودية الهواء الخارج من الرئتين لمروره في ممر ضيق في منطقة الوترين، لأن التضيق يؤدي بالتأكيد إلى الاحتكاك⁽³⁾.

أما من الناحية الفيزيائية فإن صوت العين يختلف عن صوت الحاء من حيث الوضوح السمعي Sonority فالعين أوضح من صوت الحاء. ومما يميز الحاء من العين البحة. ولقد استخدم الخليل هذا المصطلح لكشف طبيعة الحاء النطقية والفيزيائية، يقول في النص السابق: « فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين⁽⁴⁾ ».

(1) أصوات اللغة: عبد الرحمن أيوب: ص 193.

(2) دراسة الصوت اللغوي: ص 203.

(3) علم الصوت العربي: في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: ص 124.

(4) العين 1: 64.

وإنَّ هناك عدَّة عوَمِل تَأثَّر على وضوح صَوْت العين، منها التَّقْصِيق والجَهر والحَس. كما أنَّ تَضْيِيق العين أَقلَّ من الحاء، وجَهر العين زاد من وضوحها، على حين هَمَس الحاء قَلَّ من وضوحها، لذا احتُلَّت الأصوات الاحتكاكية المهموسة المرتبة ما قبل الأخيرة في جدول Jespersen، أي بعد الوقفيات المجهورة التي جاءت قبلها الأصوات الاحتكاكية المجهورة. أمَّا في جدول سَمير إستيتة فقد حَصَلَتِ الحاء على أربع (4) درجات على حين حَصَلَتِ العين على خمس عشرة (15) درجة⁽¹⁾. وفي أثناء تجربة الدُّكُور قاسم البريسم ومقارنته الوضوح السَّمعي للعين والحاء في نَصِّ الخليل، اعتماداً على نطقه الخاص، ظهر بأنَّ العين سجَّلت اثني عشرة (12) درجة بالدَيْسِل، في حين سجَّلت الحاء ست (6) درجات⁽²⁾.

ولقد لاحظ الخليل الفرق بين العين والحاء من حيث الاحتكاك، فالحاء أكثر احتكاكاً من العين، وهذا ما دعاه إلى أن يَصِف الحاء بأن فيها (بَحَّة) وأنَّ هذه البَحَّة أي الاحتكاك هو الذي نبه الخليل إلى الجانب الفيزيائي لكلا الصَوْتين، وتمييزهما من حيث وضوحهما الصَوْتي، فقال عن العين أنَّها انصع من الحاء لذا بدأ بها ترتيبه الصَوْتي⁽³⁾.

وأكدت الدَّرَاسَات الصَوْتِيَّة المختبرية التي استخدمت فيها أشعة " اكس "، بأنَّ العين أَقلَّ احتكاكاً من الحاء، لذا وصف Jakobson الاحتكاك الموجود في العين بأنه ضعيف مقابل الاحتكاك الموجود في الحاء، وقد علَّل ضعف الاحتكاك في العين إلى أنَّ كمية كبيرة من الهواء المستعمل في نطق العين يُبدَّد في إحداث ظاهرة الجَهر، وقد أثر ضعف الاحتكاك في العين إلى زيادة قوَّة وضوحها السَّمعي Sonority.

وقد انتبه الخليل من قبل إلى الطبيعة الفيزيائية للعين عندما وصفها بالتصاغة وضخامة الجرس، وتبعه ابن جني في هذا عندما وصفها بالتصاغة ولذاذة مستمعها⁽⁴⁾.

(1) علم الصَوْت العربي: في ضوء الدَّرَاسَات الصَوْتِيَّة الحديثة: ص 128، نقلاً عن " مجلَّة أبحاث البرموك (ظاهرة الوضوح السَّمعي في الأصوات: لسَمير إستيتة: 94 - 95) .

(2) نفسه: ص 128.

(3) نفسه: ص 128، 129.

(4) علم الصَوْت العربي: في ضوء الدَّرَاسَات الصَوْتِيَّة الحديثة: ص 175.

5- وظيفة صوت الغين في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا:

إذا لقيت الغين حرفًا من أحرف الحلق وجب بيانها، نحو قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾ [الأعراف: 126]، وكقوله: ﴿ثُمَّ أَلْبَغْهُ﴾ [التوبة: 6]، وكذلك القاف في كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 8] لأن مخرج الغين قريب من مخرج العين قبله والقاف بعده، فيخشى أن يبادر اللفظ إلى الإحفاء والإدغام.

وإذا وقع بعد الغين الساكنة شين وجب بيانها، لئلا تقرب من لفظ الخاء، لاشتراكهما في الهمس والرخاوة، كقوله عز وجل: ﴿يَعْشَى﴾ ونحوه. وكذا حكمه مع سائر الحروف، نحو قوله: ﴿فَرَعْتُ﴾ و﴿يَغْفِرُ﴾ و﴿بُعَا﴾ و﴿أَعْنَى﴾ و﴿أَعْلَلَا﴾ و﴿وَأَعْطَشَ﴾ ونحو ذلك⁽¹⁾. والغين يُبَيِّنُ مع كل الحروف التي تلاقيها لاسيما أحرف الحلق، وحالة الإسكان أوجب نحو قوله عز وجل: ﴿يَعْشَى﴾ [الأعراف: 54]، وكقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾ [الأعراف: 126].

6- وظيفة صوت الخاء في الكلمة باعتباره فونيمًا وظيفيًا:

إذا وقع بعد الخاء ألف فلا بد من تفخيم لفظها لاستعلائها، وكذلك كل حرف من أحرف الاستعلاء، وكذا إن كانت مفتوحة ولم يجمع بعدها ألف. كما يتحفظ بتفخيمها حال حركتها بالفتح والضم والكسر، نحو ﴿خَلَقَ﴾ [الأنعام: 1]⁽²⁾. لقد عزا ابن الجزري إلى ابن الطحان الأندلسي (ت 561 هـ) قوله: «إنَّ المفخمات على ثلاثة أضرب: ضرب يتمكن التفخيم فيه، وذلك إذا كان أحد أحرف الاستعلاء مفتوحًا. وضرب يكون دون ذلك، وهو أن يقع حرف منها مضمومًا. وضرب دون ذلك، وهو أن يكون حرف منها مكسورًا⁽³⁾».

(1) التمهيد في علم التجويد: ص 59.

(2) التمهيد في علم التجويد: ص 50. وانظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 66.

(3) نفسه: ص 50. لم أجد هذا القول في فصل "الحروف المشخمة" من كتاب "الإنشاء في تجويد القرآن": لعبد العزيز بن الطحان الأندلسي، تحقيق فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ط 1، 2009: ص 93، 94.

واستحسن ابن الجزري هذا لقول غير أنه: اختار أن تكون على خمسة أضرب: ضرب يتمكّن التفخيم فيه، وأن يكون بعد حرف الاستعلاء ألف. وضرب دون ذلك، وهو أن يكون مفتوحا، ودونه وهو أن يكون مضموما، ودونه وهو أن يكون ساكنا، ودونه وهو أن يكون مكسورا. وينبغي أن يخلص لفظها إذا سكنت وإلا ربما انقلبت غيئا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْشَى﴾ [ضه: 77] وكقوله: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى﴾ [الأعراف: 155]، و﴿اخْتَلَطَ﴾، و﴿يُخْبِتُ﴾، ونحو ذلك⁽¹⁾.

رابعاً: حقيقة الإظهار ومراتبه وأسبابه:

1- حقيقة الإظهار:

حقيقة الإظهار أن يكون بنطق التّون والتّنوين، ببيان حقيقتيهما، ولا يقطعان عن أحرف الإظهار، ويكون سكوتهما بلطف، فلا يسكنان بثقل ولا ميل إلى غنة، فالغنة تسقط منهما، وهذا مذهب النّحاة وبعض القراء⁽²⁾. وذهب بعض القراء إلى بقاء الغنة في التّون والتّنوين عند إظهارها قبل أحرف الحلق. والخلاف لفظي، لأنّ من قال ببقاء الغنة أراد بقاءها في الجملة، لعدم انفكاك أصل الغنة عن التّون ولو تنوينا، ومن قال بسقوط الغنة أراد عدم ظهورها⁽³⁾.

2 - مراتب الإظهار⁽⁴⁾:

وأما مراتب الإظهار فهي ثلاثة - كما سبق⁽⁵⁾ - أقوى وأوسط وأدنى، فأقواها إذا وقعت التّون والتّنوين قبل حربي أقصى الحلق الهمزة والهاء، وأوسطه إذا وقعا قبل حربي وسط الحلق العين والحاء، وأدناه إذا وقعا قبل حربي أدنى الحلق الغين والحاء، ويسمّى هذا الإظهار بالإظهار الحلقى: لدخول التّون والتّنوين على أحرف الحلق، وهما لا يظهران حقيقة إلا

(1) التمهيد في علم التجويد: ص 50.

(2) نهاية القول المفيد في علم التجويد: ص 147، 148.

(3) نفسه: ص 147، 148.

(4) انظر نهاية القول المفيد في علم التجويد: ص 147، 148. وتجويد القرآن الكريم من منظور علم

الأموات الحديث: ص 115، 116.

(5) تحجوه القرآن الكريم من منظور علم الأموات الحديث: ص 115، 116.

عندهم. وأما إظهار التّون عند الواو والياء في كلمة فعارض، وهو منع الالتباس بالضعف في مثل صنوان وبيان، وإظهار التّون عند الواو من ﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ أَحْكِيم﴾ [يس: 1، 2]، و﴿يَن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1]، وعند الميم ﴿طَسِم﴾ [القصص: 1]، فلأجل الفرق بين الحرف والاسم.

3- أسباب الإظهار:

والسبب في الإظهار هو بيان التّون والتّونين لا السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي، وذلك لبعد مخرج أحرف الحلق من مخرج التّون والتّونين، فهنّ من الحلق، والتّون من طرف اللسان، والإدغام إنّما يسوّغه التقارب. ثمّ لما كان التّونين والتّون سهلين لا يحتاجان في إخراجهما إلى كلفة، وأحرف الحلق أشدّ الحروف كلفة وعلاجاً في الإخراج: حصل بينهما وبينهنّ تباين لم يحسن معه الإخفاء كما لم يحسن الإدغام، إذ هو قريب منه، فوجب الإظهار الذي هو الأصل، فكلّما بُعد الحرف كان التبيين أعلى، وهو أن تظهر التّون الساكنة أو التّونين عند الهمزة والماء إظهاراً بيّناً ويقال له "أعلى"، وعند العين والحاء: "أوسط"، وعند الغين والحاء: "أدنى" (1).

ولا خلاف بين القراء العشرة في إظهار التّون الساكنة والتّونين عند هذه الأحرف الستّة، إلّا ما كان من مذهب أبي جعفر من إخفائهما عند الغين والحاء المعجمتين (2). واستثنى بعض أهل الأداء من ذلك: ﴿وَالْمُنْحِقَةُ﴾ [المائدة: 3]، و﴿إِنْ يَكُنْ غَيًّا﴾ [النساء: 135]، و﴿فَسَيُغِضُّونَ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: 51]، فأظهر التّون في هذه المواضع كالجهور. ووجه الإخفاء عند الغين والحاء، في مذهب أبي جعفر، قربهما من حرفي أقصى اللسان: القاف والكاف (3).

ووجه الإظهار العلّة المشتركة، وهي بُعد مخرج حروف الحلق من مخرج التّون، وإجراء الحروف الحلقية مجرى واحداً، ويرى ابن البادش (4) أنّ الإخفاء عند الغين والحاء

(1) التمهيد في علم التجويد: ص 43، والنشر في القراءات العشر: 23/2، ونهاية القول المفيد: ص 51.

(2) تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري، الطبعة الأولى، 1404هـ 1983م: ص 66.

(3) النشر في القراءات العشر: 23/2.

(4) الإقناع في القراءات العشر: ص 107.

صحيح: فقد ذكره سيبويه عن قوم من العرب. ووجهه بأن هذين الحرفين قريبان من حروف
الهم، فأخفوهما معهما كما أخفوهما عند حروف الهم⁽¹⁾.
خامساً: أحكام الميم الساكنة:

أما إذا كانت الميم ساكنة فلها ثلاثة أحكام:
الأول: الإدغام بالغنة⁽²⁾.
والثاني: الإخفاء الشفوي⁽³⁾.
والثالث: الإظهار الشفوي⁽⁴⁾.

وما يعيننا من هذه الأحكام الثلاثة في هذا البحث هو الإظهار الشفوي، وذلك
يكون إذا وقعت الميم مع حروف المعجم فيما عدا الباء والميم. نحو: ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا﴾
[الأنعام: 119]، و﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: 44]. واختلفوا في إظهارها مع الفاء
والواو، نحو: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11]، و﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:
25]، و﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 38]، و﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ [يس: 56]
فإظهارها رأي المحققين كابن مجاهد وغيره⁽⁵⁾. ولا تدغم في الفاء لقوة الميم باعتبار صفة
الجر وضعفها باعتبار صفة الهمس: فتذهب بقوتها، ولعدم التماثل: لأن كلا منهما غير
الأخرى، ولعدم التجانس في المخرج وإن كانت الميم بقرب الفاء ولا تدغم الميم في الواو وإن
تجانسا في المخرج فرقاً بينهما وبين التّون - كما تقدم من إدغامها في الواو - وخوفاً من اللبس
فلا يعرف: هل هي (ميم) أو (نون)⁽⁶⁾. ونبه ابن الجزري إلى أنه يجب العناية بإظهار الميم إذا
أتى بعدها فاء أو واو، لئلا يسبق اللسان إلى الإخفاء لقرب المخرجين، فيتعمل اللسان عندهما

(1) وبذلك قرأ ابن الباذن من طريق الأهوازي لابن شبل عن أبي شبل... وهي رواية المسيبي عن
نافع. نفسه: ص 107.

(2) التحديد في صناعة الإتقان والتجويد: أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني، تحقيق فرغلي سيد عرباوي،
مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، 2009: ص 320 - 322.

(3) نهاية القول المفيد: ص 156.

(4) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 109، ونهاية القول المفيد: ص 157.

(5) وكذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا أَكْفَالُنْ﴾ [الفاتحة: 7]. انظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 222.

(6) التحرير المسديد: ص 70، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ص 206، 207.

ما لا يتعمل في غيرها، وإذا أضهرت في ذلك فثبت حذفها بامتدادها وليحترز من تحريكها، ويكون الإظهار أشد مع الواو والفاء⁽¹⁾.

سادساً: أمثلة للإظهار في القرآن الكريم:

أمثلة لإظهار التثوين (ولو في الأصم⁽²⁾) والتثوين الساكنة قبل الحرف الحلقى:

الحرف المنون أو التثوين الساكنة	الآية التي فيها حرف حلقى قبله تنوين أو نون ساكنة	إظهار التثوين في كل القراءة
الضمة	﴿ وَثُكَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَظٌّ ﴾ [سبا: 21]	إظهار التثوين قبل الحاء في " حَظٌّ "
الباء	﴿ عَمَّ يَتَّبِعُونَ ﴾ [النور: 14]	إظهار التثوين قبل العين في " عَظِيمٌ "
التاء	﴿ أَنبِئْنَا عَنْ آخِيَاءِ ﴾ [الفصل: 21]	إظهار التثوين قبل العين في " عَمِ "
الثاء	---	لم أقف على حرف الثاء متوناً قبل أحرف الحلقى
الجيم	﴿ أَنْ يَبْلُغَ أَزْوَاجَهُمْ خَيْرٌ لِّكَفٍّ ﴾ [التحریم: 5]	إظهار التثوين قبل الخاء في " خَيْرٌ "
الحاء	﴿ وَهَذَا مَبْعَأُ الْحَاجِّ ﴾ [الفرقان: 53] و [فاطر: 12]	إظهار التثوين قبل الحمة في " الْحَاجِّ "
الخاء	﴿ وَلَهُ الْخَافُ الْأَخْبَثُ ﴾ [النساء: 12]	إظهار التثوين قبل طرفة في " أَخْ " باستثناء رواية ورش
الدال	﴿ وَمَنْ يُضْلِمْنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَى الْبَيْتِ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ﴾ [سبئ: 102]	إظهار التثوين قبل الخاء في " حَتَّى "
الذال	﴿ لَمْ تَسْأَلْنِي بِمُؤْمِنٍ ﴾ [التكوير: 8]	إظهار التثوين قبل العين في " عَنْ "
الراء	﴿ فَتَكُونُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [ال عمران: 179]	إظهار التثوين قبل العين في " عَظِيمٌ "
الزاي	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 209]	إظهار التثوين قبل الحاء في " حَكِيمٌ "
التسين	﴿ وَأَقْبَلُوا بُرْهَانَ رَبِّهِمْ فَاسْأَلُوا عَنْهُمْ نَبَأَهُ ﴾ [البقرة: 48]	إظهار التثوين قبل العين في " عَنْ "
الشين	﴿ وَكَأَنَّ عَرْشَ عَظِيمٍ ﴾ [النمل: 23]	إظهار التثوين قبل العين في " عَظِيمٌ "
الضاد	---	لم أقف على حرف الضاد متوناً قبل أحرف الحلقى
الضياء	﴿ فَاتَّقُوا مَا آتَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْ تُنْفِخُوا فِيهِمْ آخِيَاءَ الَّذِينَ ﴾ [آه: 72]	إظهار التثوين قبل الضمة في " إِيمَانٌ " عند التوصل في غير رواية ورش
الضاء	﴿ يَا أَيُّهَا آلُ لُوطُ إِنَّا جَاءْنَاكَ لِنُؤْمِنَ بِكَ وَنُخَوِّفُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الاحقر: 59]	إظهار التثوين قبل الحمة في " إِيمَانٌ " باستثناء رواية ورش
الضياء	﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 79]	إظهار التثوين قبل العين في " عَظِيمٌ "
العين	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 115]	إظهار التثوين قبل العين في " عَلِيمٌ "
العين	---	لم أقف على حرف العين متوناً قبل أحرف الحلقى
الفاء	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحج: 63]	إظهار التثوين قبل الخاء في " حَمِيدٌ "
القاف	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ [الزمر: 4]	إظهار التثوين قبل العين في " عَظِيمٌ "

(1) النشر في القراءات العشر: 1/222، 223، ونهاية القول المفيد: ص 128.

(2) انظر: "الترغاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ القلاوة: ص 47.

وَأَمَّا	﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُصِرْ﴾ [الإسراء: 22]	إظهار التنوين قبل الهمزة في "أَمَّا" في "يُصِرْ"
اللام	﴿وَمَنْ تَشَاءُ﴾ [البقرة: 285]	إظهار التنوين قبل الهمزة في "تَشَاءُ" باستثناء رواية ورش
الميم	﴿وَإِنْ تَرَىٰ ذِكْرًا عَلَىٰ حَكِيمَةٍ﴾ [يوسف: 6]	إظهار التنوين قبل الهمزة في "حَكِيمَةٍ" حكيم
النون	﴿وَإِنْ تَرَىٰ ذِكْرًا عَلَىٰ حَكِيمَةٍ﴾ [يوسف: 4] و ﴿فَمَنْ تَشَاءُ﴾ [البقرة: 285]	المسيحي عن نافع: "إخفاء النون عند الهمزة" تنظر مختصر ابن خالويه: 180 والبحر: 10/550.
هاء	﴿وَمَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 62]	إظهار التنوين قبل الهمزة في "تَشَاءُ" إلا
الواو	﴿وَإِنْ تَرَىٰ ذِكْرًا عَلَىٰ حَكِيمَةٍ﴾ [الحج: 60]	إظهار التنوين قبل الغين في "غَفُورٌ"
ياء	﴿وَإِنْ تَرَىٰ ذِكْرًا عَلَىٰ حَكِيمَةٍ﴾ [الحج: 40]	إظهار التنوين قبل الغين في "عَزِيزٌ"

ولا بد هنا من التذكير بأن "الغين والحاء" اختلفا فيهما عند النون والتنوين، فأخفاهما، أي النون والتنوين، كل من أبي جعفر، وهو من العشرة، وهبة الله عن المسيحي، نحو: ﴿فَسَيُعْطُونَ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: 51]، و﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ في [الأعراف: 43] وفي [الحجر: 47]، و﴿وَالْمُنْحِقَةُ﴾ [المائدة: 3]، و﴿من خير مُحَضَّرٍ﴾ [آل عمران: 30]، و﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61، 50]، و﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58].

وعن قالون بالإخفاء عندهما أيضاً كأبي جعفر في جميع القرآن، ووافق أبا جعفر وقالوا على الإخفاء عند الغين والحاء ابن الصقر عن المسيحي عن نافع، وقيل إلا في: ﴿وَالْمُنْحِقَةُ﴾ فإنه أخفاهما، وقيل غير المواضع الثلاثة التي يُظهرون عندها⁽¹⁾. قال ابن الجزري: «وأجمعوا- أيضاً- على إظهارهما عند أحرف الخلق الستة، وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والفاء، إلا ما كان من مذهب ورش - عند الهمزة- من إلقائه حركة الهمزة عليهما... وإلا ما كان من مذهب أبي جعفر من إخفائهما عند الغين والحاء، واستثنى له من ذلك: ﴿وَالْمُنْحِقَةُ﴾ و﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾ و﴿فَسَيُعْطُونَ إِلَيْكَ﴾ فأظهر النون فيهما⁽²⁾».

سابقاً: إدغام الصوامت الحلقية:

(1) انظر أسباب الإظهار في هذا البحث، وفيه: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا﴾ في [النساء: 135]، و﴿وَالْمُنْحِقَةُ﴾ في [المائدة: 3]، و﴿فَسَيُعْطُونَ إِلَيْكَ﴾ في [الإسراء: 51]. وانظر تحبير التيسير: ص 66. والنشر في القراءات العشر: 2/23، 22. ومختصر ابن خالويه: ص 180 والبحر: 10/550.

(2) تحبير التيسير: ص 66

يَتَغَبَّ الأَصْلَ عَلَى النُّعْجِ، إِذَا عُدَّ الْبَيَانُ أَصْلًا وَإِدْغَامُ فَرْعًا. وَيُحْسِنُ فِيهِ الرُّجُوعُ
لِلْأَصْلِ عِنْدَمَا يَكُونُ الْمُتَمَاثِلَانِ مُتَجَاوِرَيْنِ فِي كَلِمَتَيْنِ، وَيَكُونُ مَا قَبْلَ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا حَرْفَ
لَيْنٍ فِي مِثْلِ: (ثَوْبٌ بِكَرٍ)، وَهَذَا مَا قَبْلَ الصَّامَتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ صَوْتُ لَيْنٍ، صَائِتُهُ
لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ. وَلَا يَخْتَلِفُ ذَلِكَ الْبَيَانُ فِي أَحْرَفِ الْحَلْقِ السَّتَّةِ، رَغْمَ مَا أَثَرُ عَنْهُنَّ مِنْ
إِدْغَامٍ، وَمِنْ ذَلِكَ ⁽¹⁾: "نَبَحَاتِمَا" و"أَمَدَحُ هَلَالًا".

1 - الهاء في الحاء:

تَدْغُمُ الْهَاءُ فِي الْحَاءِ إِدْغَامًا رَجْعِيًّا فِي مِثْلِ: "نَبَحَاتِمَا" لَمَنْ أَرَادَ: نَبَّهَ حَاتِمًا، وَذَلِكَ
لِتَقَارُبِهِمَا فِي الْمَخْرَجِ، وَلَأَنَّهُمَا مَهْمُوسَانِ رِخْوَانٍ، فَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِمَا قَرَبُ الْمَخْرَجَيْنِ وَالْمَهْمُسِ،
وَالْبَيَانُ فِيهِمَا أَحْسَنُ لِأَنَّ أَحْرَفَ الْحَلْقِ لَيْسَتْ بِأَصْلَ لِلْإِدْغَامِ لِقَبْضَتِهَا، وَالْإِدْغَامُ فِيهَا عَرَبِيٌّ
حَسَنٌ. وَلَا تَدْغُمُ الْحَاءُ فِي الْهَاءِ فِي مِثْلِ: "أَمَدَحُ هَلَالًا" لِتَقَدُّمِ مَخْرَجِ الْهَاءِ عَلَى الْحَاءِ،
وَالْإِدْغَامُ كُلَّمَا كَانَ رَجْعِيًّا كَانَ أَحْسَنَ، وَذَلِكَ حِينَ يَتَأَثَّرُ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ بِالثَّانِي ⁽²⁾.

2- العين في الهاء:

الْعَيْنُ بَعْدَ الْهَاءِ فِي الْمَخْرَجِ، وَهِيَ مِنْ مَخْرَجَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ، وَيَخْتَلِفَانِ فِي الصِّفَاتِ.
وَلِتَبَاعُدِهِمَا، لَا تَدْغُمُ الْهَاءُ فِي الْعَيْنِ حَتَّى تَقْلُبَ الْهَاءَ وَالْعَيْنَ حَاءَيْنِ، ثُمَّ تَدْغُمُ الْحَاءَ فِي الْحَاءِ
إِدْغَامَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فِي مِثْلِ: "مَحْمٌ وَمَحْوَلَاءُ"، لَمَنْ يَرِيدُ مَعَهُمْ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ ⁽³⁾.

3- العين في الحاء:

إِذَا تَقَدَّمَتِ الْعَيْنُ عَلَى الْحَاءِ فِي السِّيَاقِ كَتَقَدَّمَهَا عَلَيْهَا فِي الْمَخْرَجِ، تَسَاوَى فِي الصِّغَةِ
حَسَنُ الْإِدْغَامِ وَحَسَنُ الْبَيَانِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ: "أَقْطَعَ حَبَلًا". وَتَقَدَّمُ
الْعَيْنُ عَلَى الْحَاءِ يُوَافِقُ شُرُوطَ الْإِدْغَامِ وَمُسَوِّغَاتِهِ، وَلَكِنَّ الْعَيْنَ مَجْهُورَةٌ وَالْحَاءُ مَهْمُوسَةٌ: وَالْمَجْهُورُ
أَنْصَبُ مِنَ الْمَهْمُوسِ، وَقَدْ أَدْغَمَ الْمَجْهُورُ فِي الْمَهْمُوسِ فِي مِثْلِ "أَقْطَعَ حَبَلًا" لَمَّا بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ -

(1) الإقناع في القراءات العشر: ص 57 و 75 و 79 و 80 و 86 و 95. وانظر الحروف العربية وتبديلاتها
الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد) مكِّي دراز، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،
2007: ص 190 - 192.

(2) الكتاب: 449/4. وانظر: في اللهجات العربية: ص 116.

(3) في اللهجات العربية: ص 116.

هنا - من تجانس. أمّا إذا تقدّمت الحاء على العين، فلا تدغم فيها لتأخّر الحاء عنها في الترتيب المخرجي، وإذا أريد إدغام الحاء في العين قلبت العين حاء فقلت: "امدحرفة" في امدح عرفة: "وكان يتوقع أن لا تدغم العين في الحاء هنا، لجره الأولى وهمس الثانية، إلا أن يكون التقاء الحاءين أخفّ في الكلام من التقاء العينين، ولما كانت العين متوسطة والحاء رخوة، والصوت المتوسط أوضح من الرخوة في الأداء، جاز إدغامها فيها⁽¹⁾.

4 - الغين والحاء:

الصّامتان الحلقيتان الأخيران هما الغين والحاء - المعجمتان - يلتقيان في المخرج ويتفقان في الرخاوة، ويختلفان في الجهر والهمس، فكان البيان في مثل: "أفرغ خاتماً"، والإدغام حسن في مثل: "اسلغنمك" لمن أراد "اسلخ غنمك"، وحسن الإدغام هنا، لأنّ هذا المخرج قريب من المخارج اللسانية. سمع عن بعض العرب، ممن يخفي التّون مع الحاء، في مثل: "منخل ومتغل" ويقولون "اسلغنمك" في "اسلخ غنمك"، وهو مقبول من وجهة النّظر الصوتية حين يفنى الهمس في الجهر. وحسن البيان هنا، لأنّ الغين مجهورة والحاء مهموسة في مثل: "أفرغ خاتماً"، والجهر أنصع من الهمس وأولى بالظهور. وحسن الإدغام في تقدّم الحاء على الغين في مثل "اسلغنمك" وإبقاؤه⁽²⁾. وينبغي هنا التّنبية إلى أنّ كلّ حرفين التقيا أولهما ساكن وكانا مثليين أو جنسين وجب إدغام الأوّل منهما لغة، ما لم يكن أوّل المثليين حرف مدّ نحو: "قالوا وهم"⁽³⁾، أو أوّل الجنسين حرف حلق نحو: "فاصفع عنهم". وأمّا "ماله هلك" في سورة الحاقة فقد حكى فيه الإظهار من أجل كونه هاء سكّت كما حكى عدم في "كتابه إي". وقال مكّي في تبصرته⁽⁴⁾: يلزم من ألقي الحركة في "كتابه إي" أن يدغم "ماله هلك" لأنّه قد أجزاها بحرى الأصل حين ألقي الحركة وقدّر ثبوّتها في الوصل. قال

(1) انظر الكتاب: 451/4، ودراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط

4، دت: ص 216، والحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه: ص 198 - 200.

(2) الكتاب 451/4، وانظر "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه": ص 200.

(3) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة: أبو عمرو الداني، تحقيق محمد كمال عتيق، مطبعة الأوفست، أنقرة، دت: 184/1. وانظر: الإقناع في القراءات العشر: ص 58.

(4) انظر التبصرة في القراءات السبع: ص 352 و 707.

وبالإظهار قرأت وعليه العمل وهو الصَّوَاب إن شاء الله. قال أبو شامة يعني بالإظهار أن ~~يُتَكَلَّمُ عَلَيْهِ~~ "ماله هلك" وقفة لطيفة. وأما إن وصل فلا يمكن غير الإدغام أو التحريك⁽¹⁾.

ملاحظة:

لم يرد في فواتح السور حرفاً أدنى الحلق وهما: الغين والحاء الصَّوْتَانِ الطَّبَقِيَانِ [أخنيان الزَّخْوَانِ]⁽²⁾. وفواتح السور كما هو معروف أربعة عشر حرفاً، وهي مجموعة في "صلة سحيراً من قطعك". وقد جاء منها أربعة مخرجها الحلق، وهي: الهمزة، والهاء، والحاء، والعين. وأحرف الحلق هذه تقصر ولا تَمُدُّ سِتَّ حركات، باستثناء "العين" المختلف فيها⁽³⁾. لأنَّها (أي أحرف الحلق) على حرفين وليست "كالتَّيْنِ" مثلاً التي على ثلاثة أحرف، أوسطها حرف مدّ ولين وهو الياء، أو "القاف" التي هي أيضاً على ثلاثة أحرف، أوسطها حرف مدّ ولين وهو الألف.

(1) الإفتاح في القراءات العشر: ص 59، والنشر في القراءات العشر: 2 / 21 19.

(2) علم الأصوات: حسام البهناوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 2004، القاهرة: ص 43.

(3) انظر المفتاح في القراءات السبع: أبو القاسم عبد الوهاب القرطبي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006: ص 38، 39 وفي ه العين تَمُدُّ سِتَّ حركات، بينما هي عند الشاطبي على وجهين: أحدهما المَدُّ كما سبق، والثاني: التَّوَسُّط، أي أربع حركات. انظر "تقريب المعاني في شرح حُرُز الأمانِي في القراءات السبع: سيّد لاشين أبو الفرح وخالد محمّد الحافظ، مكتبة دار الزّمان: المدينة المنورة، ط 1، 1413 هـ: ص 68. وفي النشر في القراءات العشر: 1/ 348 و 2/ 317: جواز المَدَّة والقصر والتَّوَسُّط في "عين".

لا تتأثر النون بأصوات الحلق حين تجاورها، وربما كان هذا لبعد مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات. فالتون في عدم تأثرها بأصوات الحلق مماثل اللام، فكلٌّ من التّون واللام لا يتأثر بأصوات الحلق، بل ينطق بهما خالصتين بكل شائبة. ويتوقف تأثر النون بما يجاورها من أصوات على نسبة قرب المخرج. فهي أكثر تأثراً بمجاورة أصوات طرف اللسان ووسطه من تأثرها بمجاورة تلك التي مخرجها أقصى اللسان. وليس المخرج وحده هو العامل الوحيد في هذا التأثير، بل لابد من صفة الصّوت. فالتون التي هي من الأصوات المتوسطة أقل تأثراً بأصوات الشدّة والرخاوة من تأثرها بمثيلاتها من الأصوات المتوسطة. ولابد من مراعاة العاملين معاً للحكم على نسبة تأثر النون بما يجاورها. هذا هو ما بني عليه القدماء أحكام النون المشهورة. فالتون المشكلة بالسكون ينعدم تأثرها بأصوات الحلق، لبعد المخرج والصفة بين النون وهذه الأصوات. على أن اشتراك العين مع النون في صفة التوسط لم يكن مبرراً كافياً في رأي العلماء القدماء لإحداث هذا التأثير. فرغم أنّ كلاماً من النون والعين في رأيهم من الأصوات المتوسطة لا يلحظ أنواع من تأثر النون بمجاورتها للعين في مثل "أنعمت"، وربما أثبتت البحوث المستقبلية نوعاً من التأثير لم يفتن إليه من قبل. ودرجات تأثر التّون بالأصوات المجاورة تتراوح بين إظهارها خالصة دون شائبة مع أصوات الحلق. واختلاف بعض القراء في حكم النون حين تجاور العين والخاء بين الإظهار والإخفاء يوضح أنّ قرب مخرج الصّوت المجاور للنون هو العامل الأساسي في تأثرها، لأنّ مخرج هذين الصّوتين هو أدنى الحلق إلى الفم، فمن نظر إليهما على أنّهما أقرب إلى أصوات الفم أخفى النون معهما، ومن نظر إليهما على أنّهما من أصوات الحلق أظهرها. وعليه فإنّ أحرف الحلق أشدّ الحروف كلفة وعلاجاً في الإخراج: حصل بينهما وبينهنّ تباين لم يحسن معه الإخفاء كما لم يحسن الإدغام، إذ هو قريب منه، فوجب الإظهار الذي هو الأصل، فكأنّما بعد الحرف كان التّبيين أعلى، وهو أن تظهر النون الساكنة أو التّونين عند المهمزة والهاء إظهاراً بيّناً، ويقال له "أعلى"، وعند العين والخاء: يقال له "أوسط"، وعند الغين والحاء يقال له: "أدنى" (1).

(1) التمهيد في علم التجويد: ص 156، والنشر في القراءات العشر: 2/23. ونهاية القول المفيد: ص 218.